نـافـذة

حامية وحامية.. واتركها..

حامية وحامية.. تعودنا في حياتنا كلها أن نستخدم الاعتدال في حديثنا وفي أمثالنا، فنقول: على الحافر، ونقول خدّ وعين، ونقول: طاسة حامية وطاسة باردة.. وكل هذا في إطار السعي إلى الاعتدال والتأكيد عليه، وفي حديثنا الشرعي نسمع كثيراً عبارات مثل: الإسلام المعتدل، الوسطية في الإسلام، وما شابه ذلك من تعابير قد تكون مشمولة بالمسيحية واليهودية كذلك، بل إننا نجد عبارات سياسية تتحدث عن الاعتدال! بل إن كثيراً من المتحدثين، وهم لا علاقة لهم بما يتناولونه أو يتم تداوله، يتحدثون عن الإسلام الشامي أو الإسلام السوري.. وما شابه ذلك من تعبير، وصادف أن حدثني أحدهم عن الإسلام الشامي، فسألته: ما صفاته؟ قال الاعتدال. فسألته: ما حدود الاعتدال؟ فقال الإسلام الشامي!! فخرجت بنتيجة تقول هذا الشخص وأمثاله لا يعرفون الإسلام ولا الإسلام الشامي، ولا يعرفون الاعتدال كذلك! ومن هنا نجد أن جلّ التعابير التي نسمعها هي تعابير إنشائية فضفاضة لا علاقة لها بما يجري حقيقة.

إن المشكلة في أسلوب تعاطينا مع أنفسنا أولاً، ومع الآخر، فنحن نرى أنفسنا على صواب، ومن يدر في فلكنا ويهلل لنا يشاركنا في جزء من الصواب، وإن اختلف معنا بجزئية فهو قد مَرق عن الصواب، وإن اتسع الخلاف فالأمر أصبح عداء، ودون أن نراجع مفهوماتنا عن الصواب، والخطأ، ودون أن نقتنص فرصة العودة عن الخطأ إن كان ثمة من خطأ.. ولكننا ملكنا فضيلة ليّ العنق للقضايا، وتفرّدنا في التفسير والتأويل، وأصبحنا ندير لساننا في جوفنا كما نريد ونتحايل، يبدأ تحايلنا على الولد والوالدة ويستمر إلى الأستاذ ليصل إلى السياسة، ويتعملق ليصل إلى التحايل بالكلام واللسان على النص المقدس والذات الإلهية. فتحولت حياتنا إلى كذب في أسرنا، والكذب في الأسر ينشئ جيلاً وأجيالاً بلا هوية، فلا الولد حدّد رغباته، ولا درس ميوله، ولا اشتغل على شخصيته، وهذا الولد نفسه سيصبح في مرحلة لاحقة في مكان ما، وفي موقع ما، ولنا أن نتخيل التخبطات في هذه الشخصية والتي ستكون كارثية على الذات والمحيط والمجتمع.. وتزداد المسألة تعقيداً عندما نمارس هذه المداهنة وغياب الشخصية، ونحن في مواقع وأماكن مهمة، فيمكن أن نخطئ، ومع ذلك نفسّر كما نشاء، ونضع الأنظمة، وبحرف جر نغير الدالّ والمدلول، وحتى لا يظن أن هذا الأمر محض خيال، لننظر إلى قرارات الأمم المتحدة الانسحاب من الأراضي المحتلة، أو الانسحاب من أرض محتلة، فالأولى تتحدث عن الأرض المعروفة العهد بتمامها، والثانية على التنكير تتيح الاقتطاع، وها نحن قد أمضينا خمسين عاماً دون أن نصل إلى نتيجة.

وهذه التفسيرات والتأويلات في المستوى الوطني تطول مفهومات الأمانة والوطنية والخيانة، فهذا خائن وذاك وطني، وكل جانب يملك القدرة واللغة على توصيف الآخر بما يشاء من الأوصاف اللائقة وغير اللائقة للوصول إلى غايته من الحكم، وقد يكون من يتهم الآخر بالخيانة أكثر خيانة، لكنه قادر على الحديث والمراوغة والتفسير والتأويل..! وخلال الحرب على سورية رأينا المصائب والكوارث في تصنيف الناس، فهذا لمجرد أنه يعمل موظفاً حوسب على أنه موال للدولة، فنهب وربما قتل، وبالتفسير استطاع هؤلاء إقناعَ أنفسهم أولاً، وربما استطاعوا إقناع من يواليهم بشيطنة الدولة!! وهل الدولة كذلك؟ وهل يتطابق غضب الإنسان من شخصيات مسؤولة مع الغضب والسخط على الدولة التي تنظم حياة الناس؟! وفي الوقت نفسه نجد بعض الناس الفاسدين والمرتشين والمرتهنين للآخر، وهم في مواقع مؤثرة يسبغون على المخالف ألفاظ الخيانة والعمالة! فهل يحق لهم ذلك؟ وهل يعفيهم تربعهم في مواقع من حمل صفة الخيانة والفساد؟! وهل تختلف آثار أعمالهم المعادية للوطن عن آثار ذاك الذي يراه المواطن العادي خائناً؟! المواطن العادي وحده هو من يحكم على الناس، سواء كانوا في السلطة أو يريدون الانقضاض عليها، لأنه وحده المتأثر بالفعل ورد الفعل، ووحده الذي يقف في الطابور، وينتظر في المواقف، ويدفع أقساط المدارس من تعبه! أما ما عدا المواطن فلا يحق له أن يقول، ومع ذلك نجد من يسحب هذا الحق من الوطن والمواطن على السواء ليجعله حقاً خاصاً بمن يتربع في مكان ما، أو فيمن يطمح بالتربع ذات يوم من الأيام!!

حين نتوقف عن التفسير والتفسير المضاد تعود حياتنا إلى طبيعتها، ويمكن لأحدهم أن يقول: لقد أخطأت أعتذر أو أنسحب، ولكننا بما أننا لم نفعل هذا الشيء حتى الآن فإن الدوامة مستمرة، ولأن الشرع يقصد الحياة، والحياة تجمع بشري، فقد توجه إليهم، لكن هذا التجمع البشري استطاع وبذكاء أن يمارس عملية أنسنة الشرع، وأن يجعل المصلحة هي الأساس، فجاءت القراءات، وكان التفسير مشابهاً لحاجة التجمع، ففي تفاسير الكتاب المقدس نجد الطوائف، وفي تفسير القرآن الكريم نجد المذاهب، بل إن الباحثين يقولون لك: تفسير معتزلي وظاهري وباطني، وذلك حسب انتماء المفسر والقارئ، وقلما نجد من يقف في التفسير عند الظاهرة الدينية واللغوية وحسب!!

كثرت التفاسير، وكل تفسير يريد أمراً ما، والذي يريده هو المفسّر أو المكان أو الظرف، وبقدرة قادر يتحول هذا التفسير إلى مقدس، وتصبح هذه القراءة أصلاً، والنص المقدس يصبح خلفية!!

أما سمعنا من مشايخ أن الله يريد الأمر الفلاني، وأراد أن يعلمنا فضرب مثلاً؟! الله لم يقل ذلك، ولم يقل أريد تعليمكم، ولم يقل بوسائل الإيضاح، لكن علماءنا الذين يتواصلون معه بطرائقهم استطاعوا أن يعرفوا غاياته وأن يفسروها لنا نحن الجهلة!!

عاتبني أحدهم مرة وقال: لست شيخاً، لا يحق لك أن تتحدث، ويجب أن تسأل المشايخ!!

لفظ الشيخ أعطاه قداسة! وكيف إن كان شيخاً دكتوراً، ولو حصل على شهادته دون أن يكون مجازاً أصلاً؟! ولا ينتبه هؤلاء إلى من يتصدى لشرح الحديث ولا يجيد قراءته وضبطه، ولا إلى من يجلس لتفسير القرآن وهو لا يجيد ترتيله، أو تجويده، علاوة عن عدم إجادته لقراءته أو مخارج حروفه!!

بل يملك الجرأة أن يتابع وأن يسخّف العلماء الحقيقيين، الذين عليهم أن يتبعوه! وهنا أقول: لا مشكلة، فعلاقته مع الله، أما أن يرفض ملاحظة فتلك مشكلة كبرى أنت خصمه فيها، وربما طالك الأذى لأنك تجرأت وقلت له: أنت بشر..!

بالمناسبة كل هذه الأمثلة موجودة على مستوى عالمنا العربي الذي يعيش الماضي لأنه أكثر ربحاً وفائدة، ولكنني استقيتها من سورية، ومن الإسلام المعتدل، ومن السياسة العلمانية المعتدلة، ومن الإدارة التي تنتقي الجدير!! وأنا أعلم معنى الإسلام الشامي، ومعنى أن تكون مجتهداً لنفسك وخادماً للآخرين، فلا أحد يتنطع ويقول: نحن غير..! نعم نحن غير لو أردنا أن نكون، أما الآن فالطاسة حامية وحامية، والضرب على الحافر والحافر، ولا يوجد أي اعتدال في الأيديولوجيات سواء كانت سماوية أم وضعية حزبية.. كله يشبه بعضه وبعضه نتيجة كله، فلا تبتئس أيها السوري.. أنت غير!! والعهدة على الراوي والمفسر والمسؤول.. ولا داعي لإصلاح شيء، فالله سيحل الأمور، وهو الذي يتولى كل شيء!

إسماعيل مروة

وزارة الثقافة تكرم عائلة نهاد قلعي

محمد الأحمد: يمتلك ثقافة حياتية كبيرة وكان معروفاً بكرمه وطيبته ووقوفه إلى جانب الفنانين

مها قلعي تتسلم التكريم من وزير الثقافة

عائلة الراحل مع وزير الثقافة

مها قلعي: أعماله لا تتكرر وتحاكي القيم والأخلاق الحميدة

وائل العدس
تصوير طارق السعدوني

تعبيراً عن الوفاء والعرفان وتأكيداً لرسالة الفن الخالدة التي قدمها فنانونا الكبار، كرّم وزير الثقافة محمد الأحمد عائلة الفنان الكبير نهاد قلعي تقديراً لدورها بالحفاظ على تراث الفنان الراحل.

متعدد المواهب

وزير الثقافة تحدث عن الراحل الكبير وقال: هو اسم لا يمكن أن يلخص بمقابلة سريعة أو لقاء، كانت له بصمات كبيرة في المسرح القومي في سورية، فعندما كان مديراً لهذا المسرح في وزارة الثقافة شاهد الجمهور في زمنه أجمل العروض المسرحية.. إنه ينتمي لجيل الكتّاب الذين أسسوا للدراما السورية المتميزة اليوم التي عاشت على اللبنات التي بناها الأستاذ الكبير نهاد قلعي.

وتابع: نهاد قلعي واحد من أكثر الفنانين الذين ظلموا في هذه الدنيا، فهو لم يأخذ حتى اليوم جزءاً يسيراً مما يستحقه، لقد كان متعدد المواهب، مسرحياً، وكاتباً، وممثلاً، ويمتلك ثقافة حياتية كبيرة وكان معروفاً بكرمه وطيبته ووقوفه إلى جانب الفنانين.

وعن أهمية أعمال الراحل تحدث الوزير: تكمن أهمية نهاد قلعي عندما نشاهد أعماله التلفزيونية والمسرحية والسينمائية في سورية والوطن العربي، في أنها ما زالت منذ عقود محافظة على بريقها ومشاهديها وبالشغف نفسه رغم أنها قدمت بتقنيات بدائية، لكن بمضمون مهم وبراق.

وختم: نحن اليوم في وزارة الثقافة نسعى للحفاظ على إرثه وهناك بعض الإجراءات القانونية التي نحاول أن نقوم بها في قادم الأيام، وإننا لفخورون بتكريم هذه القامة الفنية الكبيرة.

أعمال لا تتكرر

بدورها عبّرت مها قلعي ابنة الفنان الراحل، عن سعادتها بتكريم والدها، قائلة: إن هذا التكريم يعني لي الكثير لأنه جاء بعد سنوات طويلة، ويعني أن نهاد قلعي لا يزال موجوداً بذاكرة الناس ولا يزال محبوباً منهم.

وتحدثت عن أن أكثر صفة كانت تميز الفنان الكبير هي محبته الكبيرة لعائلته، مشيرة إلى أنه تميز بأعماله في المسرح القومي التي ما زالت ملتصقة بذاكرتها ومسلسل «صح النوم» و«ملح وسكر».

ورأت قلعي أن سبب الحفاظ على ذكراه طوال هذه الفترة هي أن أعماله لا تتكرر، وأنها شعبية وتحاكي القيم والأخلاق الحميدة.

مسيرة غنية

من منا لم يسمع بالمقولة الشهيرة: «إذا أردنا أن نعرف ماذا في إيطاليا فيجب أن نعرف ماذا في البرازيل». طبعا المقولة ليست لشكسبير أو أرسطو إنما مقولة فنان الكوميديا نهاد قلعي في شخصية «حسني البورظان»، تلك الشخصية التي عاشت معنا في طفولتنا ودخلت بيوتنا كما دخلت قلوبنا وكبرنا معها ولا تزال الأجيال تتابع مسلسلاته وأفلامه مع ثنائية دريد لحام.

يذكر الجمهور العربي جيداً ملامح الفنان السوري نهاد قلعي الذي ما زالت شخصيته المعروفة «حسني البورظان» حاضرة في الاذهان، كما يذكر مقالبه المضحكة مع قرينه دريد لحام المشهور بـ«غوار الطوشة»، لكن من يذكر أن قلعي هو أول مدير لـ«المسرح القومي» السوري أواخر الخمسينيات، وأحد الذين أسسوا للحركة المسرحية العربية الحديثة.

أحبّ الفن فسرى هذا الحب في عروقه وأزهر بنفسجاً وريحاناً، وضحّى من أجله بسنوات عمره التي كرسها له.

ولد نهاد قلعي في دمشق في حي ساروجة – حارة قولي في صيف ١٩٢٨، واسمه الكامل حسب الهوية الشخصية نهاد قلعي الخربوطلي، والده محمد رفقي ووالدته بدرية العطري، انتسب إلى مدرسة البخاري القريبة من دار الأسرة وكانت هذه المدرسة تعدّ طلابها إعداداً علمياً وأخلاقياً عالياً، تؤهلهم لإلقاء الخطب والقصائد في المناسبات.

أحبّ التمثيل منذ نعومة أظفاره وكان شديد الإعجاب بالفنان عبد اللطيف فتحي، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية انتسب إلى مدرسة التجهيز الأولى وفيها تتلمذ على يدي الفنان عبد الوهاب أبو السعود الذي كان يدرب الطلاب على أداء أدوارهم في التمثيليات التي تقدم في نهاية السنة الدراسية، وكان نهاد يؤدي فيها أدواره بنجاح كبير، عندما أكمل دراسته الثانوية كان أبوه قد أحيل على التقاعد فاضطر لترك المدرسة والعمل، ولأنه كان مولعاً بالتمثيل بادر إلى معهد التمثيل بالقاهرة للانتساب إليه بتشجيع من خاله الفنان توفيق العطري، فباعت الأسرة ما يلزم لتأمين سفر ابنها إلا أن المبلغ نشل منه وكانت كارثة كبرى بالنسبة إليه.

بعد ذلك اضطر للعمل مراقباً في معمل للمعكرونة في حي الميدان، ثم ضارباً على الآلة الكاتبة في الجامعة ثم انتقل بعدها إلى وزارة الدفاع، وعمل مساعداً لمخلص جمركي طوال خمس سنوات، ثم عمل لحسابه الخاص، وظلّ يمارس عمله هذا إلى أن بدأ حياته الفنية.

بداياته الفنية

كانت الخطوة المهمة في حياة نهاد قلعي الفنية سنة ١٩٤٦ مع نادي «البرق» الكائن في ساحة المرجة وفي هذا النادي شارك بتقديم مسرحية عنوانها «جيشنا السوري» وفي عام ١٩٥٤ قام بتأسيس (النادي الشرقي) وكانت أولى المسرحيات التي قدمها تحمل عنوان «الأستاذ كلينوف» وأخذ فيها دوراً كوميدياً، ثم قدم مسرحية «زنوبيا» التي ألحقت بالنادي كارثة مادية كبيرة ظلّ بعدها سنوات عديدة يسدد ما تراكم عليه من ديون بسببها.

في عام ١٩٥٧ قدم النادي في القاهرة مسرحية «لولا النساء» ولقيت إقبالاً جماهيرياً كبيراً ونجاحاً باهراً.

وفي شباط من العام ١٩٥٩ قدم النادي أيضاً على مسرح الأزبكية بالقاهرة مسرحية بعنوان «ثمن الحرية».

وفي العام ذاته كلفته وزارة الثقافة والإرشاد القومي بتأسيس مسرح قومي في سورية.

مع التلفزيون

مع افتتاح التلفزيون العربي السوري في ٢٣ تموز ١٩٦٠ بدأ قلعي يتألق حيث التقى الفنان الكبير دريد لحام واستمرت مسيرتهما الفنية ستة عشر عاماً إذ قدم برنامجاً منوعاً اسمه «الأسرة السعيدة» وشاركه في التقديم لحام ومحمود جبر، وغازي الخالدي وتاج باتوك وقد شجع مدير التلفزيون آنذاك الدكتور صباح قباني دريد ونهاد على تأليف ثنائي فني وتوقع لهما النجاح، وهذا ما حدث بالفعل، ثم تحول هذا البرنامج إلى برنامج آخر باسم «سهرة دمشق» الذي انضم إليه الفنان رفيق سبيعي وشكل برنامج «سهرة دمشق» أول تعاون رسمي بين الفنانين القديرين «دريد ونهاد» ولقي نجاحاً متميزاً.

ومن أهم الأعمال المتميزة لهما: «عقد اللؤلؤ» ثم «مقالب غوار» و«حمام الهنا» و«صح النوم» وهذه الأعمال لقيت إعجاباً جماهيرياً وما زلنا نشاهد بشغف بعض الحلقات التي تعرض على شاشة التلفاز بين الفينة والأخرى.

وفي السينما اشتركا في واحد وعشرين فيلماً منها «عقد اللؤلؤ» و«لقاء في تدمر» و«الشريدان» و«المليونيرة والنصابين الثلاثة» و«خياط للسيدات» و«الرجل المناسب» و«مسك وعنبر» وفيلم «صح النوم» عام ١٩٧٥.

في عام ١٩٧٤ قدما مسرحية «ضيعة تشرين» من تأليف محمد الماغوط وكانت من أجمل الأعمال المشتركة بين الفنانين الكبيرين وفي عام ١٩٧٦ قدما مسرحية «غربة».

آخر تصريح

في آخر تصريحاته قبل وفاته بأيام قليلة يقول قلعي: «أعيش حالياً جواً من الإحباط. لكنني لو عدت إلى بداياتي، وقيد لي أن أختار حياة جديدة، لما اخترت غير الطريق الذي سلكته، رغم مرارتها ووعورتها في أحيان كثيرة. باستطاعتي القول إنني لست نادماً على شيء».

وأضاف: أنا راض كل الرضا، لأنني بذلت كل جهدي، وقدمت كل ما استطعت، ولا أظن أنني فشلت، قد لا أكون حققت النجاح الذي أطمح إليه، ويطمح إليه كل مبدع في قرارة نفسه، لكن إنجازاتي تتناسب مع الإمكانات التي أتيحت لي على أرض الواقع.

حادثة طريفة

يردد نهاد قلعي حادثة طريفة يؤكد أنها جديرة بأنها تروى فيقول: طلبت منّي وزارة الثقافة ذات يوم عرض مسرحية «البورجوازي النبيل»، تكريماً للطلبة الذين حصلوا على مراتب عليا في جميع الكليات السورية، وذلك في إطار الاحتفالات التي أقيمت في مناسبة وصول ناظم القدسي إلى سدّة الرئاسة واستلام خالد العظم مقاليد رئاسة الوزراء. وفي اليوم المحدد، قبل ساعة من موعد بدء العرض، توجهت إلى «مسرح القباني» للتأكد من أن مسؤولة الملابس جهزت جميع الملابس والإكسسوارات المطلوبة للمسرحية. كنت متوتراً، مضطرباً، والرهبة تملؤني.

وعندما بدأت أرتدي ملابسي، اكتشفت أنها ناقصة، فهرعت أبحث عنها في غرف الزملاء لكن دون جدوى. وما كان مني إلا أن ركلت الباب بقدمي لشدة الغضب، ولم يكن يكسوها سوى نعل خفيف. فانكسر الباب، وانكسرت قدمي. وتم إحضار الأطباء على الفور، فقرروا بالإجماع منعي من الحركة. وجدت نفسي في حيرة من أمري، لكني قرّرت أن أقدم المسرحية رغم كل شيء.

هل تحل صفحات التواصل الاجتماعي بديلاً من الكتاب؟

د. رحيم هادي الشمخي

رغم أن الكتاب أصبح اليوم مهجوراً حتى من الذين كانوا يعشقونه بالأمس، إلا أن القلة القليلة لا تزال ترى في الكتاب خير صديق، لذا فهم يجدون أنفسهم في بحث دائب عنه ولاسيما أن الهدف منه أنهم يستمتعون به ويتلذذون بقراءته ويأخذهم في رحلة جميلة إلى دنيا المعرفة. والواقع أن صفحات التواصل الاجتماعي التي قللت كثيراً من دور الكتاب لا يمكنها أن تكون بديلاً من الكتاب، ذلك أن لذة قراءة الكتاب هي إضعاف لذة قراءة صفحات التواصل مهما كثر عليها من ضجة.

وبالعودة إلى السؤال المطروح: ماذا تقرأ اليوم؟ فإن اختيار الكتاب ليس أمراً يسيراً، فالمطروح من الكتب كثير ومتعدد، ترى أي كتاب سيروق لك؟ وهل لديك حب الاستطلاع لما تحتويه صفحات هذا الكتاب أو ذاك؟ ثم أتراك تشعر بالمتعة وتتذوق هذا الكتاب الذي بين يديك، الواقع أن حب القراءة يبدأ غالباً منذ عهد مبكر من حياتنا ترافقه رغبة عديدة لكسب المعرفة، إن الأمر أشبه بالهواية التي لا مفر منها هي التي تحفزنا للقراءة، أما إذا فقدنا هذه الرغبة فلا جدوى، على أي حال إن كنت قارئاً مبتدئاً فما عليك إلا أن تستعين بأحد ممن له دراية بهذا الأمر، وهأنذا أدلك على بعض الخطوات وأقول لك: اقرأ ما تيسر من القرآن كل يوم، تتعلم منه الكثير معرفة ولغة وأسلوباً، ذلك أنه وحده مدرسة لا غنى لنا عنه، ثم اقرأ الكتاب الأدبي لمن توافرت له المساحة من التألق الأدبي الرفيع سواء أكانوا كتاباً عرباً أم أجانب، نذكر منهم على سبيل المثال: طه حسين، والعقاد، ونجيب محفوظ، وفولتير، وتولستوي، وبرناردشو، وفكتور هيجو، وشكسبير، وديكنز، ثم اقرأ الكتاب التاريخي الذي ينهج نهجاً معتدلاً تكسب به معرفة للأحداث التاريخية التي وقعت بالأمس القريب والبعيد ولا بأس أن تروي ظمأك في كتاب تاريخ الطبري، وكتاب مروج الذهب للمسعودي، وإن شئت فاقرأ كتاب الاجتماع والفلسفة، ذلك أنه سيكون عوناً لك على فهم المجتمع والتغيرات الطارئة عليه، وفهم ما يدور في النفس من مشاعر وخلجات، وإن كانت لك رغبة في الكتب العلمية فإنها تزيدك معرفة على معرفة. فإذا ما مضت سنوات على هذا النهج المتواصل فستجد نفسك قد اكتسبت ما لذ وطاب من مناهل المعرفة، حينئذ فحسب تكون قد ولجت عالم الثقافة الرحب، فالثقافة ليست مجرد الحصول على الشهادة المدرسية، بل هي بالمزيد من التطلع إلى بطون الكتب وما تحويه من كنوز.

إن كبار الأدباء والمفكرين كانوا في البداية مجرد قراء ثم قادتهم هذه القراءة الطويلة المضنية إلى دنيا القلم، فراحوا يدونون ما يطرأ على رؤوسهم من أفكار وما يمس قلوبهم من خلجات لتفتح الشهرة أبوابها لهم، هكذا هو الأمر إذ لا يولد حدث مبدع أو متألق من دون أن يكون الكتاب رفيقاً له.

إنه الكتاب وحده الذي يأخذنا إلى الأعالي ومن غيره تبدو الصورة معتمة.